

العروب في المرأة صوراً

تحترق الأرض من تحت أرجلنا ونحن الحفاة!
على جمر غضبها نمضي.. لا ندري أتقذف بنا حمماً من قهر، أم
بشهيق الوجع تبتلعنا!

ونحن الضحايا فيها ونحن الجناة! ونحن مرابا الموت وإن تنفست في
عروقنا الحياة.. فأى حياة لمن تمزق عرضه؟ وأي حياة لمن احترق في أسواق
النخاسة ظلّه؟ وأي حياة لمن باع جوعاً أمه، وتجزع بيده الآثمة سمّه؟
تنتاثر في أسماعنا الكلمات، نطردها، غير أنها تعود إلينا بأحرف جديدة،
فنعترف مرغمين بأن الكلمات لا تموت، وبأننا وحدنا من يموت! لتظل
الكلمات من بعد موتنا حية تشيعنا بالبراء..
فتجولي يا مرأة الصبر في شوارع العرب، تجولي ليلاً، وارصدي الأقدام
المترنحة على أبواب اللهو والسلطان، خبريهم عن رجال من حدقة القهر
خرجوا بالبصيرة، فكانت من أشلائهم القنابل، وكانت من حبات أعينهم
الذخيرة!

خبريهم عن عرق الرجال وهم يحضرون الأرض لتفور بالغضب، خبريهم عن صواريخ تطلق باسم
الله وتتفجر بقول (الله أكبر!)
قولي لهم عن صواريخ القسام في غزة المجاهدين! وكيف صار الموت يتحرك في شوارع العدو وفي عمق
مستوطناته، ليعرف قبل غيره بأن الأرض فلسطينية الأنفاس.
وخبرنا عن علمتهم (السلطة) لعبة التظاهر بالهيمنة، فصاروا يتنافسون فيما بينهم على قدرة
الأوسمة! يلوحون بدم الشعب الذي صافح الموت حين لاح من سماء الصبر تباشير المقاومة.. يمنحونه
الموت والجوع وفتات الكرامة، ويسلبونه اللحم! يمزقون خريطته، ينتزعونها من صدره، ولا حصة لهم سوى
كلمة سوداء في ذاكرة طفل، عرف كيف يقبض على السلاح، كما كان يقبض في الصغر على دفة الحجر.
غائر الطعن في خاصرة المقاومة، ودمها النازف يعلن في صمت المتفريجين: (عربي نصل السكين!).
أتراهم جيران البحر تنصلوا من دمهم، وأنكروا خبزهم وماءهم، وصاروا جزءاً من المؤامرة، وارتدوا طائعين
أقنعة الوجوه الغادرة!

كنا بمرارة الشوق نبكي فلسطين، واليوم نبكي أنفسنا.. كثرت أحزان العرب! كثر الدم والأشلاء، وتعالى
صرخات الفجيعة من حناجر النساء، غير أن أمتنا أضعفها الصمم فما عادت تحفل بالنداء!
في عراق المجاهدين اهتزت الأرض بأزيز الطائرات.. تبعثرت أشلاء القنابل بين الجدران المهذمة، وقريباً من
الأجساد الصغيرة التي فقدت غيمة الطمأنينة فالتحفت نيران الرشاشات.
قولي لهم يا مرأة الصبر المضجوعة ببشاعة الظلم أن رحيق بغداد للعراقيين، قولي لهم فلسطين أحرف من نار
تحرق بلهبها عدو الله وتهب الدفاء للساجدين.. واحملي تكبيرات الأقصى على جناحك، لعلهم ينصتون لمسرى
رسول الله إذ ينادي: (جردوني من أهلي، ومن تحتي يحضرون!).
فيا مرأة الصبر سيرى لا تتوقفي! واجهيهم بوجوههم لعلهم يهتدون! ■

جهاد الرجبي